



صفاقس ... أكاديميات مغيّيات

صفاقس قطب جامعي بامتياز يضم قرابة 20 مؤسسة جامعية، ويستقبل أكثر من 30 ألف طالب سنويا، وتمثل نسبة حضور المرأة فيه، طالبة ومدرسة 70٪.

في المقابل لا تتجاوز نسبة تواجدهن في موقع القرار على رأس المؤسسات الجامعية تعيينا و انتخابا، 0.7٪،

وبلغة الأرقام هن ثلاثة، اثنين على رأس مؤسسات عمومية وواحدة مديرة لمدرسة عليا خاصة.

سنية وإيمان وإقبال هن الوحيدات اللائي يتأسسن مؤسسات جامعية بالجهة في إدارة الأعمال والتسويق والفنون منذ 2017 وهي سابقة من نوعها في جامعة صفاقس منذ 2011.



سنية غربال الزواري، أول مديرة في تاريخ المعهد العالي لإدارة الأعمال منذ تأسيسه سنة 2001، تم انتخابها لخوض تجربة التسيير في شهر ديسمبر 2017. أقدمت على الانتخابات وفي البال التجربة الأمريكية التي بلغت نسبة القيادة للمرأة في مؤسساتها الجامعية 30 بالمائة، وكذلك إيمان عميق بقدرتها وغيرها من الأكاديميات، التسيير بنجاح واقتدار وتميز، بل وامتياز.

فترة إدارتها للمؤسسة لم تكن بالسهلة أو أنها في

ظروف عادية. تصفها بالصعبة، ذلك أنها تزامنت مع احتجاجات اتحاد الاساتذة الجامعيين الباحثين التونسيين "إجابة"، الذي نفذ سلسلة من التحركات والوقفات الاحتجاجية داخل المؤسسات الجامعية مطالبا برد الاعتبار للأستاذ الجامعي وللمؤسسة الجامعية العمومية مع دعم حق الدكاترة في الانتداب. و صفاقس لم تكن بمنأى عن هذه الاحتجاجات، وانجر عنها توقف الدروس في مرحلة أولى، ثم الامتحانات والتهديد بحجب الاعداد ورغم ذلك تمت الامتحانات في تاريخها بالنسبة إلى المعهد العالي لإدارة الأعمال، أمر اعتبره اتحاد "إجابة" تجاوزا فرفعوا قضية بالمديرة إلى المحكمة الإدارية. تزامنت كل هذه الاحتجاجات والمشاكل، مع جائحة كوفيد-19، التي عرفت معها تونس فترة الحجر الصحي الشامل، توقفت فيها الدراسة بكل المؤسسات الجامعية بما فيها المعهد العالي لإدارة الأعمال. فقد توقفت الدروس بالمعهد من مارس إلى حدود 12 جوان، تاريخ انطلاق الامتحانات والتي استكملت بدورتها الرئيسية والتدارك.

المديرة أقدمت على تجربة الدراسة عن بعد، رغم كل هذه الظروف، حقق من خلالها المعهد تميزا من حيث نسب المشاركة التي وصلت حدود 50 بالمائة بالنسبة إلى الطلبة و70 بالمائة بالنسبة إلى مشاركة الأساتذة وفق بيانات منصة الجامعة الافتراضية للسنة الدراسية 2020/2019. وفي ظل كل هذه الظروف أيضا فاقت نسبة النجاح في هذه السنة الجامعية 2020-2019، 72٪ وحافظ بذلك المعهد العالي لإدارة الأعمال على تميزه المعهود طيلة

ثلاث سنوات الأخيرة اذ تراوحت النسب بين 80 بالمائة و84 بالمائة في حين كانت في حدود 66 بالمائة في السنة الدراسية 2016/2017.

وفي فترة ذروة الكوفيد عالميا ووسط تحوفات على المستوى الوطني، تم في فيفري 2020 تدشين قطب الطالب المبادر، وهو الثاني من نوعه على المستويين الجهوي والوطني بعد قطب كلية الطب بصفاقس وقطب جامعة قرطاج.

ثلاث سنوات في ادارة المعهد العالي لإدارة الأعمال تشارف على الانتهاء، مدة من التسيير اعتبرت سنية علامة فارقة في حياتها المهنية، تحصل فيها المعهد على الموافقة على مشروع تحسين جودة المؤسسة الممول من البنك الدولي وهو مشروع قائم على تحسين الحوكمة ودعم التشغيلية.

ويبقى أحسن تتويج بالنسبة إليها هو ذلك الذي حققه طلبتها الذين تحصلوا على جائزة أحسن مشروع ختم الدروس في الإعلامية للأربع سنوات الأخيرة على المستوى الجهوي، وهي جائزة مسندة من المعرض الجامعي السنوي الذي تشرف عليه جامعة صفاقس وتنظمه للاحتفاء بأفضل مشاريع ختم الدروس المنجزة من طرف طلبة الأقسام النهائية بمختلف المؤسسات الجامعية وأفضل مشاريع البحث العلمي.

أول محكمة صورية



إيمان الفوراتي، انتقلت من تجربة التدريس إلى الإدارة صلب المدرسة العليا الخاصة للدراسات التجارية عبر التعيين، استنادا لمبدأ الكفاءة، وفق ما أكدته لنا. ولم يمضي وقت طويل على تعيينها حتى بعثت أول محكمة صورية نموذجية في جامعة حرة بصفاقس والجنوب. في هذه المحكمة يجسد الطالب أدوار القضاء (محامي/قاضي/وكيل جمهورية) للتأهل لمناظرات المحامين والمجلس الأعلى للقضاء. كما سارعت بتركيز قسم المشاريع والتسويق الذي يتم في إطاره دعوة أصحاب المؤسسات الاقتصادية بالجهة

لإعداد الطالب لسوق الشغل. فشعار إيمان كما رددته "ياما ننجح... ياما ننجح"، دليل على أن القيادة بالنسبة

إليها ليست غاية في حد ذاتها، بقدر ما هي تجسيد فعلي لتغيير ما، في فضاء ما، في مدة زمنية ما، والعمل، وترك الأثر والإضافة لجيل يعد بالنسبة إليها مسؤوليتها، ولآخر سيأتي ليبي على ما خلفته من أثر .



لم تشذ إقبال الشرفي عن هذه القاعدة، هي التي انتقلت من أستاذة بالمعهد العالي للفنون والحرف بصفاقس إلى مديرة عام 2017، لتكون أول امرأة تقود المعهد منذ تأسيسه سنة 95 لمدة انتخابية لثلاثة سنوات. ترشحت لمنصب مديرة مع منافس وحيد وفازت دون عناء، وقد كانت ولا زالت الوحيدة التي تحمل تصنيف أستاذة صنف (أ) وسط أربع أستاذة رجال بنفس التصنيف.

وعن تجربتها تقول "لا فرق عندي بين امرأة ورجل... الفرق تفرضه الكفاءة والعمل فقد جئت بمشروع وأعتبر نفسي حقيقته، لذلك لن أترشح لمدة ثانية وسأترك المجال لمن يحمل مشروعا جديدا من أجل آفاق جديدة للمعهد وإشعاع دائم". تقول إقبال الشرفي ذلك بعد أن تحصل المعهد على الجائزة الرئاسية لأحسن المعدلات في السنتين الأخيرتين، وحقق في 2020/2019 نسبة نجاح فاقت 90 بالمائة .

كما أحدثت شهادة الدكتوراه في فنون الثقافات والوسائطية في السنة الدراسية 2019/2018، مشروع تحقق بعد أكثر من عشرين سنة وتعتبره إقبال من أفضل ما أنجزت بالمعهد.

وإذا ما عددنا ما فعلته إقبال بالمعهد، لا يكفي المقال لتعدادده. فقد أعادت فتح قاعة العرض بعد تجهيزها وتجهيتها لتصبح أكبر قاعة عرض في صفاقس كاملة، مجهزة وخاصة بالأعمال الفنية من لوحات ومجسمات ، وقريبا ستفتح على الشارع الخارجي لتسويق أعمال الطلبة والأساتذة والفنانين ضيوف المعهد. كما أبرمت طيلة إدارتها المعهد أكثر من 32 اتفاقية شراكة وتعاون مع منظمات وجامعات وهيكل بحثية ومؤسسات اقتصادية في إطار الانفتاح والتسويق والتمين للمنتوج الفني والعلمي لأول مرة في تاريخ المعهد بهذا الحجم .

سنة 2019 ، فاز المعهد بالموافقة على مشروع جودة المؤسسة الممول من البنك الدولي لتحسين المؤسسة وحوكمتا وتشغيليتها ، بعد أن أصبح ناشرا ب"المعرف العلمي" الدولي وله إلى حد الآن سبع منشورات في فئة الخدمات العلمية والبحثية، وذلك اعترافا له بالجداره في أبحاثه ومشاريعه الفنية. وقد سبقته في الحصول على هذا المعرف، كلية الطب والمدرسة الوطنية للمهندسين بصفاقس فقط . ولم يكن بالسهل الحصول على هكذا معيار فلا بد من مرجعية علمية تمثل الضامن لصدقية الأبحاث والدراسات، وقد كانت السيرة الذاتية للمديرة نفسها ضامنا لذلك وفق ما صرحت به لنا . ومثل مركز المهن وإشهاد الكفاءات أيضا نقطة إضافية في تاريخ إدارتها للمعهد وتم بعثه سنة 2019. مركز يعنى بإعداد الطالب لسوق الشغل وذلك بتأهيله من حيث تقنيات التواصل وتنمية لغاته ومهاراته بالتوازي مع دراسته الأكاديمية.

إقبال أكدت لنا أن المرأة الحاملة لمشروع لن تكل أبدا حتى تحققه وأن مصيرها سيكون حتما النجاح والتميز متى ما آمنت بذلك وتشبثت به.

تخوف في الظاهر... إقصاء في الباطن

ثلاث كفاءات نسائية فقط، على رأس معهدين ومدرسة عليا في مدينة تعد قطبا جامعييا بامتياز، بعشرين مؤسسة جامعية وثلاث مراكز بحث وقطب تكنولوجي وحوالي خمس مؤسسات جامعية خاصة.

عدد لا يعكس بالمره واقع الأكاديميات فيه ولا نسبة من يتقلدن رئاسة الأقسام ومخابر البحث ومن يؤطرن الطلبة والطالبات، ويكشف تفاوتا كبيرا في الرتب العلمية في قطاع التعليم العالي، رغم ارتفاع عدد الطالبات و عدد المدرسات في كل الاختصاصات. أمر أرجعه كاتب عام جامعة صفاقس لطفي السلامي إلى "قلة ترشحات المرأة في انتخابات المجالس العلمية للعمد ومديري الكليات"، وهو ما يعكس الظاهر من الأسباب ويخفي الكامن منها. فعلاوة على المسؤوليات العائلية والتي تسند للمرأة حصرا في غالب الأحيان، تأتي نتائج الأولية لدراسة أنجزها مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث "كوثر" سنة 2019 حول العنف في الفضاء الجامعي، لتكشف "أن العلاقات السائدة داخل الجامعة تحكمها المصالح والخدمات (...). عبرت عنه بعض الجامعيات "بعنف يمارس ضدّهن كالتضييق على النشاطات، والتشهير، والتشويه للصورة الاجتماعية، والتقليل من شأنهن، والإقصاء من اللجان العلمية، والاستبعاد من دائرة أخذ القرار، والحرمان من الامتيازات المستحقة في العمل البحثي". وهو ما يدفع أغلبهن حسب الدراسة، إلى الانسحاب من المشاركة الفاعلة في المجالات العلمية والبيداغوجية باعتماد الإقصاء الذاتي أو الإقتصار على الحد الأدنى من المسؤوليات الجامعية.

فهل أن ضعف تقلدهن تلك المناصب يرتهن بيئة تدفع بهن نحو صنع القرار؟ وهل يمكن أن يعد تعيين امرأة على رأس وزارة التعليم العالي كسرا لمثل تلك الحواجز، أو على الأقل وعيا بها؟

مقال :عائشة بيار

سبتمبر 2020/دورة تكوينية حول تمكين المرأة لأدوار الريادة في الاعلام